مجلة العلوم والبحوث الإسلامية
SUST Journal of Islamic science and Research
Available at:http://scientific-journal.sustech.edu/

التراث الديني في شعر أحمد الشارف

علي محمد أحمد عمران [1] – محاسن محمد الفحل [2]

المستخلص :

حاول هذا البحث الوقوف على أشكال التوظيف التي تبناها الشاعر أحمد الشّارف عند مقاربته لهذا التراث، وإيضاح مدى الاستفادة منه، من خلال دراسة بعض نصوصه الشِّعرية وتناولها بالنقاش والتحليل.وقد تضمن البحثُ تعريفًا عامًّا بمفهوم التّراث، والاقتباس وأنواعه، دارسًا أشكاله في الحديث الشّريف، ومن أهداف البحث التي يسعى لتحقيقها: بيان مفهوم التّراث وأهميته في بناء النص الشعري الحديث، وقد اتّبعَ الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، لملاءمتهِ طبيعة البحث، ومن نتائج البحث: أنَّ التراث الدِّيني يُعَدُّ أحد مصادر التراث المهمة ، التي يستطيع الشاعر الإفادة منها إذا أحسن الاختيار والتوظيف.

ABSTRACT:

The paper aims to investigate types of techniques used by the Libyan poet، Ahmed Al Sharif who tackled and availed of heritage in his poems. The paper has analytically examined some samples of Sharif's poems.The study consists of definitions of heritage، quotation and types of quotation with reference to Hadiths (prophetic traditions). The paper aims to study the concept of heritage and its role in the structuring modern poetic text.Descriptive analytical approach was adopted because it is adequate for the study which concluded that religious heritage is the main source through which the poet can adopt in selection and utilization.

الكلمات المفتاحية:

الاقتباس - التوظيف - القضية

1.كلية الدراسات العليا- جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

2- كلية اللغات- قسم اللغة العربية- جامعة السودان للعلوم والتكنولجيا

المقدمــة :

شَكّلَ التُّراث الدِّيني بعناصره المختلفة ، مصدرًا مهمًا من مصادر التراث التي أفاد منها الشاعر المعاصر، عند صياغته لتجربته الشعرية ، وعند التعبير عن بعض القضايا المعاصرة التي تشغله وموقفه منها، وذلك من خلال توظيفه لعناصر هذا التراث المتنوعة والمتمثلة في القرآن الكريم والحديث النبوي ، أو في استدعائه لبعض الشخصيات الدينـــية التي لها رمزيتها ومكانتها ، وتعد هذه العناصر هي الأبرز والأكثر حضورا ، في شعر الشعراء المعاصرين ، الذين وجدوا فيها ما يغني تجاربهم الشعرية ، ويضفي عليها الكثير من المصداقية والتأثير على المتلقي ، بحكم ما يتمتع به هذا التراث من قدسية في حياة الناس ، وما يحتله من مكانة في وجدانهم، غير أن العودة إلى هذا التراث، ومحاولة الإفادة منه من قبل الشاعر المعاصر تتطلب الكثير من الحيطة والحذر، لما يشكله هذا التراث في حياة الأمم والشعوب، من حساسية وتحفظ لا يمكن تجاهله، ومن هنا كان معرفته وتحديد مفهومه، تســتوجب طرح جملة من الأسئلة، وفي مقدمتها ما هو التراث عامـــة؟ وما هي مرتكزاته التي تساعدنا على تحديد مفهومه؟ ثم كيف يتسنى لنا الإفادة منه في بناء التجربة الشعرية؟ وهل في استطاعتنا توظيفه في صياغة تجربة شعرية حديثة، تحقق لنا ما نصبو إليه من أمانٍ، وما نتطلع إليه من طموحات ويكون لها القدرة على الربط بين الماضي والحاضر؟

موضوع البحث هو التراث الديني في شعر أحمد الشارف، ذلك أن هذا الشاعر - كما سنرى من خلال البحث – قد تأثر تأثراً كبيراً بالتراث، ولهذا سيكون حديثنا عن التراث، وأثر هذا التراث في شعر أحمد الشارف.

لاشك أن هذه الأسئلة تتطلب منا الكثير من الجهد للإجابة عليها، والوقوف على ما تطرحه من قضايا وأفكار، ولكننا سنحاول ما استطعنا الوصول إلى بعض الإجابات، آملين منها تحقيق الحد الأدنى من الرضا والقبول، مبتدئين أولا بتعريف التراث عامة، وبيان مفهومه من حيث اللغة، والاصطلاح.

هذا وقد قامت الكثير من الدراسات حول توظيف التراث في الشعر العربي، لما لهذا الموضوع من أهمية كبيرة عند الكثير من الأدباء والنقاد، فتناولوه بالدراسة و التحليل، واختاروا له المناهج التي تساعد الباحث على الوصول لأفضل النتائج. فمن الدراسات التي قامت حول هذا الموضوع على سبيل المثال لا الحصر: الاقتباس من القرآن الكريم لعبد الهادي الفكيكي، وأثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي لمحمد شهاب العاني، وأثر القرآن في الشعر العربي الحديث لشلتاغ عبود شراد، والتراث العربي لعبد السلام هارون واستدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر لعلي عشري زايد ، والشاعر والتراث لمدحت الجيار وغيرها.

هذا، ويُؤَمَّلُ للبحث تحقيق الأهداف التالية:

1- بيان مفهوم التراث وأهميته في بناء النص الشعري الحديث و كذلك معرفة الاقتباس وأنواعه .

2- معرفة كيفية توظيف أحمد الشارف للتراث الديني في شعره .

3- دراسة خصوصية التّوظيف عند هذا الشاعر ، ومعرفة أساليبه وطرقه .

التعريف بالشاعر :

ولد الشاعر حوالى سنة 1864م ببلدة زليتن، حيث درس علوم القرآن بزاوية عبدالسلام الأسمر، ثم بزاوية الفطيسي، وتنقل بعد ذلك بين زاوية المدني والقصبة. ولي القضاء بمنطقة تاورغا سنة 1906م ولمدة خمس سنوات، والقربولي لمدة عشر سنوات ثم انتقل إلى طرابلس فسجنه الإيطاليون بسبب مواقفه الرافضة للاحتلال، ثم تولى افتاء غريان أثناء هذا

الاستعمار لليبيا، ثم عين قاضيا بسرت سنة 1919م، ثم عضوا بالمحكمة العليا، ثم رئيسا لها " [1]

(وقد كان الشاعر أحمد الشارف مولعا بنظم الشعر منذ نعومة أظفاره، وقد نظمه من أجل الشعر وتذوقه ولم ينظمه من أجل التكسب ، فقد كان معظم شعره من أجل إرضاء موهبته الشعرية التي كان يتمتع بها، وقد تأثر أثناء مسيرته الشعرية ببعض الشعراء أمثال: عمرو بن كلثوم والمتنبي وأبي فراس الحمداني وابن زيدون، كما تأثر بمدرسة البارودي ومن بعده شوقي وحافظ والرصافي، وهذا يبدو واضحا من خلال تتبعنا لشعره، كما لا يفوتنا أن نذكر أن الشاعر كان من فقهاء المذهب المالكي، وقد ظهر ذلك جليا في شعره، إلا أنه لم يطغ عليه، فكان بذلك صورة صادقة للعلماء الذين يقولون الشعر إلهاما وفطرة) [2].يعتبر الشارف من الشعراء الذين طال عمرهم، وطال نفسهم في مجالات الشعر الرصين، وقد كان من الشعراء الذين ردد الليبيون أشعارهم أثناء فترة الجهاد ضد الاستعمار الإيطإلى، لما حملته قصائده من حث على المقاومة والرفض لكل أشكال الاستعمار وصوره، التي حاول فرضها على الشعب الليبي.

قد أسهم هذا الشاعر في ميدان الكلمة الشاعرة، وظل يعطي ويجول في ضروب الشعر الأصيل، ويقدم شحنات النور وفورات الحماس، في عربية صافية، وشاعرية أصيلة تمد جذورها في المنبت الثقافي للكثير من الشعراء ممن سبقوه ، وكان لهم أثر في شعره .

أما عن شخصيته فقد كان عفيف النفس، دمث الخلق، حر الرأي يجنح إلى التجديد دائما، ويمقت التزمت والتعصب الفكري. وقد كان إلى جانب شعره عالج الكتابة ، ونشر بضعة فصول ومقالات في الصحف الليبية من أمثال : الترقي والرقيب وليبيا المصورة وطرابلس الغرب، وله مراسلات مع شعراء وأدباء من تونس ومصر والشام والعراق. وقد توفي رحمه الله في الحادي عشر من أغسطس سنة 1959م .) [3]

مفهوم التراث :

التراث في اللغة مشتق من " ورث " وهو "الورث ، والإرث ، والوراث ، والإراث ، والتراث ، هي جميعها ألفاظ عربية مترادفة ، وردت في اللغة ، ومن اللغويين من جعل الورث والميراث خاص بالمال ، والإرث خاص بالحسب . وتستخدم الكلمة مجازا للدلالة على ما هو معنوي يقال : وورثه ماله ومجده . وأورثه المرض ضعفا والحزن هما "[4] بهذا المفهوم تكون كلمات : التراث والميراث والإرث والورث جميعها تدل على ما يخلفه الرجل لورثته ومنه قوله تعالى : ﴿وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما ﴾[5] فكلمة التراث في هذه الآية الكريمة تعني التراث بمفهومه المادي بشكل خاص، والذي قد تتجاوزه هذه الكلمة في مواضع أخرى لتدل على الإرث المعنوي ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب﴾[6] .

ويقول أهل اللغة ومنهم ابن سيده : " إنما أراد يرثني ويرث من آل يعقوب النبوة "[7] ومن الاستعمالات لكلمة التراث بمفهومها المعنوي ، ما جاء في معلقة عمرو بن كلثوم حيث يقول :

وَرِثْنَا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بْنَ سَيْفٍ
أَبَاحَ لَنَا حُصُونَ المَجْدِ دْينـــــا

([1]) عبدالله مليطان(2005م) معجم الشعراء الليبيين، ج1، دار الطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس ليبيا، ص17

([2]) محمد التركي(2008م) أسلوب التصوير في النثر والشعر، الجامعة المغاربية، طرابلس، ليبيا، ص126.

([3]) علي مصطفى المصراتي (2000م) أحمد الشارف، دراسة وديوان ، ط 2، الدار الجماهيرية للنشر، مصراته، ليبيا ، ص 12 .

([4]) ابن منظور، لسان العرب ، مادة ورث .

([5]) سورة الفجر ، الآية 19

([6]) سورة مريم ، الآية 6 .

([7]) ابن منظور ، لسان العرب ، ص 266.

***

وَرَثْتَ مُهَلْهِلًا وَالخَيْرُ مِنْهُ
زُهَيْرٌ نِعْمَ ذُخْرَ الذّاخِرِيْنَـــــا

***

عِتَـــابا وَكَلْثُومَا جَمِيعـًا
بِهِمْ نِلْنَا تُرَاثٌ لِأَكْرَمِينَـــــا

أي ورثنا مجد عتاب وكلثوم ، وبهم بلغنا ميراث الأكـــارم ، وحزنا مآثرهم ومفاخرهـــــم ، فشـــرفنا بهم وكرمنـــا "[8]. وبهذا فقد أكد الشاعر من خلال الأبيات السابقة الدلالة المعنوية لكلمة التراث ، فالمآثر والمفاخر أمور معنوية ، وليست مادية . و كذلك من الأمثلة الأخرى التي جاءت في هذا السياق، ما ورد في قول الشاعر سعد بن ناشب ، الذي يشكو هدم داره وخرابها على يد بلال بن بردة، بعد أن أصاب دما في قومه:

فَإِنْ تَهْدِمُوا بِالغَدْرِ دَارِي فَإِنَّهَا
تُرَاثُ كَرِيْمٍ لَا يُبَالِي العَوَاقِبَـــا[9]

أما اصطلاحا : فإن كلمة التراث في الخطاب العصري، قد اكتسبت معنى آخر بحيث صارت تدل على الموروث الثقافي، وما طرأ عليه من تطور على مر السنين، ولذلك أصبح التراث يمثل "ما هو مشترك بين العرب، أي إلى التركة الروحية والفكرية، التي تجمع بينهم لتجعل منهم خلفا لسلف. وهكذا كان هذا الإرث أو الميراث هو عنوان اختفاء الأب، وحلول الابن محله، وأن التراث قد أصبح بالنسبة للوعي المعاصر، عنوانا على حضور الأب في الابن وحضور السلف في الخلف، وحضور الماضي في الحاضر "[10]، وبهذا الفهم يكون السلف صورة متكررة في كل عربي مسلم، بل هي انعكاس للماضي في الحاضر بكل ما فيه من إيجابيات وسلبيات، تجسد عوامل اجتماع هذه الأمة وأحد أسباب وحدتها، كما أن التراث بكل مقوماته يشكل الأرض الصلبة التي تقف عليها الأمة لتنطلق منها إلى تحقيق آمالها وتطلعاتها في بناء غد أفضل، وهو ما دفعها للعودة إلى الماضي واســتلهام ما فيه من عوامل القوة والنجاح، لتتخطى ما فيه ما تعانيـــه من واقع سيءٌ ومترد، أثقل كاهلها وأضعف حالها، وقد كان الشاعر العربي أحد أبناء هذه الأمة وأحد أدواتها الفاعلة والسباقة لأخذ زمام المبادرة بالعودة للتراث واستلهامه، لخلق عالم جديد يعبر من خلاله عن ماضيه وحاضره ووفق هذه المفاهيم والدلالات لكلمة التراث، وسنحاول الوقوف على أهم عناصر التراث الديني، التي استلهمها الشاعر أحمد الشارف وعمل على توظيفها في نصه الشعري، ويأتي في مقدمتها الاقتباس من القرآن الكريم.

مفهوم الاقتباس :

عرف الاقتباس لغة بأنه " مشتق من القبس : النار . والقبس الشعلة من النار . وفي التهذيب القبس شعلة من النار تقتبسها من معظم . واقتباسها تأخذ منها . والقابس : طالب النار وهو فاعل من قبس . ويقال قبس منه نارا أقبس قبسا ، وأقبسني أي أعطاني منه قبسا وكذلك أقبست منه نارا واقتبست منه علما أيضا استفدته ، وفي حديث العرباض : أتيناك زائرين ومقتبسين أي طالبي علم ، وفي حديث عقبة بن عامر : فإذا راح أقبسناه ما سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أي أعلمنا إياه "[11] ومما تقدم نلاحظ أن معاني الاقتباس في المعجم ، تدور حول مفهوم الأخذ والعطاء ، في مدلولها المادي والمعنوي.

أما في الاصطلاح، فهو: " أن يضمن الكلام نظما كان أم نثرا ، شيئا من القرآن الكريم ، أو الحديث النبوي الشريف، على ألا يكون فيه إشعار بأنه منه ، كما

([8]) الزوزني(1998م) شرح المعلقات، محمد الفاضلي، المكتبـــة المصرية ، بيروت، ص 186 .

([9]) جمعة حسين يوسف(2012م) المضامين التراثية في الشـــعر الأندلسي، دار صفاء للنشر، عمان،، ص26

([10]) مدحت الجيار(1982م) التراث والحداثة، دراسات ومناقشات المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص34 .

([11]) لسان العرب ، مادة قبس .

يقال في أثناء الكلام قال تعالى كذا ، أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ، فإن ذلك حينئذ لا يكون اقتباسا ، أو أن تدرج كلمة من القرآن، أو آية منه في الكلام تزيينا لنظامه وتفخيما لشأنه ممهدا للمقتبس بحيث يكون مدمجا في الكلام اندماجا تاما حتى يصير من الكلام المقتبس منه "[12].

أما عن الأسباب التي كانت وراء اختيار العلماء لهذه التسمية " الاقتباس " فقد كانت لها أسبابها وتعليلاتها ما يكفي للأخذ بهذه التسمية . يقول بعضهم : " وسمي الإتيان بالقرآن الكريم والحديث اقتباساً على الوجه المذكور ، أخذا من اقتباس نور المصـــباح من نور القبس وهو الشهاب ، لأن القرآن الكريم والحديث أصل الأنوار العلمية "[13] .

بهذا المعنى نظر الشعراء إلى الاقتباس ، وبهذا الفهم وظفوه كأحد الأدوات الفنية ، التي يمكن الإفادة منها في بناء نصوصهم الشعرية ، التي تزداد رفعة وسموا باقتباسها من القرآن الكريم ، والحديث الشريف . هذا وقد انقسم الاقتباس بمفهومه إلى نوعين أساسين : نصي وهو ما التزم فيه الشاعر باستحضار نص الآية الكريمة كاملا أو جزءا منها .

وإشاري : وهو ما عمد فيه الشاعر إلى استخدام بعض الألفاظ ، أو التلميح إلى المعنى .

القرآن الكريم :

كان للقرآن الكريم ولا يزال الأثر البالغ في اللغة العربية وآدابها، فهو المنبع والمشرع لكل ما عرفته من علوم، وما كسبه العرب من معارف، بفضل ما غرســـــه القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف في نفوسهم، من حب للعلم وحثهم على طلبه، مما هيأ لنهضتهم العلمية فيما بعد، كما كان للقرآن الكريم الفضل الأكبر في بقاء العربية، في الوقت الذي درست أخواتها الأخريات من اللغات القديمة، بينما هي تزداد نضارة وازدهارا على مر السنين، فلقد حفظ أصولها وحماها من الخطأ والتحريف ، وتكفل برقيها مبنى ومعنى ، وأحدث فيها ألوانا من العلوم والفنون والمعارف ، و بذلك أصبح الأساس القويم في بناء الفكر العربي الإسلامي والثقافة العربية ، و أول مصدر من مصادر الأدب الإسلامي ، وكذلك أول كتاب دون في العربية بلغة تميزت بعذوبة اللفظ ، ورقة التركيب، ودقة الأداء، وقوة المنطق، وسحر البيان، وإعجاز البلاغة إضافة إلى أسلوبه السهل الممتنع والفريد من حيث التصوير والتعبير ، الذي لم يعرفه العرب، ولم يألفوه قبل نزوله ، وما لبث أن ظهر هذا الإعجاز الفني والبلاغي في خطب الخطباء ، وشعر الشعراء الذين أخذوا يصوغون أشعارهم على هديه ، مستمدين ومقتبسين من نوره ما يقوِّمون به ألسنتهم ويكفل لهم تربية الذوق وملكات البيان ، وإحسان القول وإجادته ، والإتيان بما عجزوا عنه من صور الفن اللفظي والأداء البلاغي ، فكان لهم على الدوام الكـــنز الزاخر بألوان العطاء يعودون إليه كلما خانتهم الألفاظ، وأعيتهم الكلمات، وضـــــاقت بهم سبل التعبير ، فيعثرون فيه على ما يبدد حيرتهم ويسعف قريحتهم، عاكفين على توظيف مضامينه الفكرية ، واستلهام أساليبه الفنية ، في محاولة منهم لتأكيد معانيهم، وإيضاح دلالاتهم بصور مختلفة ، وطرق متنوعة . وقد كان الشاعر أحمد الشارف أحد هؤلاء الشعراء الذين عمدوا إلى الإفادة من هذا المنهل العظيم، عبر تقنيتين مهمتين، هما تقنية الاقتباس النصي ، والاقتباس الإشاري ، وهذا ما سنقف عليه لاحقا بدءا من بيان مفهوم الاقتباس، ثم كيفية توظيفه من قبل الشعراء عامة والشاعر أحمد الشارف خاصة .

أولا / الاقتباس النصي :

([12])جمعة حسين يوسف، المضامين التراثية في الشعر الأندلسي، مرجع سابق، ص 41 ، 42 .

([13]) النفتزاني(1331هـــ) حاشية الأنباني على الشرح المختصر، مطبعة السعادة ، مصر، ص 476 .

ومن الأمثلة على هذا النوع من الاقتباس النصي ما جاء في قول الشاعر أبي العتاهية :

أتتْهُ الخِلَافَةَ مُنْقَــادَةً
إليه تُجَرْجِرُ أَذْيَالَهَـــا

***

فَلَمْ تَكُ تُصْلِحُ إِلَّا لَــهُ
وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَـــا

***

وَلَوْ رَامَهَا أَحَــدٌ غَيْرَهُ
لَزُلْزَلَتْ الأَرْضُ زِلْزَالَهَــا[14].

فالشاعر قد استلهم عجز البيت الثالث من قوله سبحانه و تعالى : " إذا زلزلت الأرض زلزالها"[15] ليؤكد ما يرمي إليه من أن الخلافة لا تصلح إلا لخليفته الذي ينحاز إليه ويناصره ، وأن تغييره وتبديله ستترتب عليه أمور قد لا يحمد عقباها ، بل ذهب أبعد من ذلك حين ربط بين تغييره وزلزلة الأرض ، التي لا تحدث إلا بقيام الساعة ، وهذا من باب تعظيم هذا الأمر وتهويله ، وما قد يترتب عليه من مخاطر .

ومن الشواهد على هذا النوع من الاقتباس كذلك ، قول الشاعر صفي الدين الحلي في إحدى قصائده :

لَيْسَ كُلَّ الأَوْقَاتِ يَجْتَمِعُ الشَّــمْلُ
وَلَا رَاجِعٌ لَنَا مَا يَفُوتُ

***

فَاغْتَنِمْ سَاعَةَ اللِقَاءَ فَمَا تَعْلَــمْ "
بِأَيِّ أَرْضٍ تَـــمُوتُ[16]

وفي عجز البيت الثاني إشارة إلى قوله تعالى " وما تدري نفس بأي أرض تموت "[17]، وهي حقيقة أراد الشاعر تأكيدها ، من خلال استدعاء الآية الكريمة ، والحث على ضرورة استغلال الإنسان لأيام حياته، بما يعود عليه بالنفع ، في دنياه وأخرتــه، فما يدري متى يفاجئه القـــدر . وينتهي مشوار الحياة .

أما الشاعر أحمد الشارف ، فيقول في إحدى قصائده ، موظفا لهذه التقنية ومستفيدا منها :

أَمَا آنَ لِلْعُذَالِ أَنْ يَقْبَلُواْ عُــذْرِيْ
وَقَدْ عَلِمُواْ يَا صَاحِ أَنَّ الهَوَى عُــذْرِي

***

وَكَمْ مِنْ فَتًى يَهْتَزُ مِنْ خَمْرَةِ الهَوَى
وَلَابُدَ لِلسَــكْرَانِ مِنْ نَشْــوَةِ السُــكْرِ

***

وكُـلَّ الذِيْ يَهْوَى هَوَايَ فَإِنَّــهُ
" أَخِي أَشْدِدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي "[18]

حاول الشاعر من خلال هذه الأبيات الرد علي العذال الذين حاولوا الوقوف بينه وبين من يهوى، ومن خلال القدح في صدق مشاعره، أو من خلال تشويه هواه والطعن في طهارته، ولم يجد الشاعر خروجا من هذه الأزمة التي تواجهه، إلا بالاســتعانة بمن مر بهذه التجربة أو بمن يمر بها، فهما الأقدر على تفهم حقيقة مشاعره والوقوف إلى جانبه في وجه من يناصبونه العداء، ويعملون على التفريق بينه وبين من يحب. غير أن الشاعر وهو يبحث عن هذا الدعم وهذه المساندة والمؤازرة، لاحت له قصة سيدنا موسى عليه السلام ولجوئه إلى ربه، حين ضاقت به السبل وشعر بحاجته إلى العون في نشر دعوته و مواجهته لفرعون وطغيانه وتجبره، فتوجه إلى خالقه قائلا كما جاء في نص الآية الكريمة " ﴿ربي اجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري ﴾[19]، وقد عمل الشاعر أحمد الشارف على استدعاء نص الآية الكريمة انطلاقا من شعوره، بحاجته هو الآخر للعون كما

([14]) ابن رشيق (د ت) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، دار الجيل، بيروت ، ص 34.

([15]) سورة الزلزلة ، الآية 1 .

([16]) عبدالهادي الفكيكي(1996م) الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي ، منشورات دار النمير، دمشق ، ص 27 .

([17]) سورة لقمان، الآية 34 .

([18]) علي المصراتي(2000م) أحمد الشارف دراســة وديــوان، الدار الجماهيرية للنشر، مصراتة ليبيا، ص191

([19]) سورة طه، الآيات من 28 – 31.

احتاجها سيدنا موسى عليه السلام، فذهب إلى استدعاء النص القرآني ليؤكد به هذا المعنى، وليوضح حجم المعاناة التي يمر بها، والتي لن يستطيع التغلب عليها بمفرده، دون أن يكون له من يوآزره، ويشاركه في الرأي للخروج من هذه المحنة. وبهذا جاء استلهام الآية الكريمة مناسبا لموقف الشاعر ومساندا وداعما له في تجربته.

ثانيا - الاقتباس الإشاري :

وكما عمل الشعراء على استخدام الاقتباس النصي في أشعارهم ، فقد كان لهم أيضا استخدام للاقتباس الإشاري ، الذي يعد هو الآخر أداة فنية ، لها توظيف أكثر في شعر الشعراء من الاقتباس النصي ، لما يمنحه هذا النوع من الاقتباس من حرية أوسع للشاعر من حيث اختياره للألفاظ والتراكيب القرآنية ، وكذلك ما يتيح له من حرية التقديم والتأخير في المعنى ، خلافا للاقتباس النصي الذي كثيرا ما يكبل الشاعر ، ويحد من حريته في المناورة ، بسبب قدسية النص القرآني ، وعدم جواز التغيير والتبديل في ألفاظه أو التقديم والتأخير فيها ، ولهذا يلجأ الشاعر عبر هذه الأداة ، إلى محاولة تطويع المعنى القرآني ، وتوظيفه في نصه الشعري حسب غرضه ، ومن الأمثلة على هذا النوع من الاقتباس ، قول الشاعر الحطيئة :

نَحْنُ إِذَاْ مَاْ الخَيْلُ جَاءَتْ كَأَنَّمَا
جَرَادٌ زَفَتْ أَعْجَازُه الرِّيْحُ مُنْتَشِرُ [20]

والشاعر يشير هنا إلى قول المولى عز وجل : " يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر " [21] وقد أتى استدعاء هذه الآية الكريمة من قبل الشاعر واقتباس معانيها ، للدلالة على ما يتمتع به قومه من قوة عددية في المعارك ، والتي لا يشبهها في نظره ، إلا خروج الناس يوم القيامة من قبورهم ، وانتشارهم الهائل والعظيم ، وهذا من باب فخر الشاعر بقومه ، وما يتمتعون به من أسباب القوة .

وكذلك من الأمثلة الشعرية على استخدام هذا النوع من الاقتباس قول الشاعر ابي فراس الحمداني في إحدى قصائده:

فَلَا أَمَلٌ غَيْرَ عَفْوَ الـإلـهِ
وَلَا عَمَلٌ غَيْرَ مَا قَدْ مَضَى

***

فَإِنْ كَانَ خَيْرًا فَخَيْرًا تَنَالُ
وَإِنْ كَانَ شَرًا فَشَـرًا تَرَى [22]

أراد الشـــــــاعر أن يتحدث في هذين البيتين عن حياة الإنسان، وما فيها من أعمـــــال الخير والشر، وأن الله سيجازيه على هذه الأعمال، إن كان خيرا فخير، وإن كان شرا فشر، ولهذا عمد إلى استدعاء الآية الكريمة، التي يقول فيها المولى: " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره "[23] لتأكيد وإيضاح هذه المعاني والدلالات التي أراد إيصالها إلى المتلقي.

أما الشاعر أحمد الشارف، فقد كانت له هو الآخر وقفات ووقفات، مع هذا النوع من الاستخدام للاقتباس الإشاري، الذي رأى فيه أداة فنية يمكن توظيفها، عند التعبير عن بعض القضايا والأفكار التي تشغله، أو تداعب أحاسيسه ومشاعره، ومنها هذه الأبيات التي يقول فيها:

وَحَمْلَةُ القَوْمِ لَا تَثْنِي عَزَائِمُنَـا
عَـنِ الكِفَاحِ وَلَوْ كَانُواْ كَثِيْرِيْنَا
قَدْ يَخْذِلُ اللّهُ أَقْوَامًا وَإِنْ كَثُرُوا
وَيَمْنَحُ اللّهُ نَصْـرًا لِلْأَقَلِيْنَـا[24]

فالشاعر في هذه الأبيات يتحدث عن النصر وأسبابه ، وأن النصر لا يكون بكثرة العدد والعدة - وإن كان لها

([20])عبدالهادي الفكيكي، الاقتباس من القرآن الكريم في الشـعر العربي، مرجع سابق، ص 40 .

([21]) سورة القمر ، الآية 7 .

([22])الفكيكي، الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي، مرجع سابق، ص 30 .

([23]) سورة الزلزلة ، الآيات 7 ، 8 .

([24]) أحمد الشارف، دراسة وديوان ، مرجع سابق، ص 111 .

أهميتها في أي معركة – وإنما بتوفيق الله وعونه ، وهو أمر أكدته الكثير من المعارك التي خاضها المسلمون ضد أعدائهم ، وأحرزوا فيها انتصارات عظيمة ، رغم تفوق عدوهم عليهم في كل شيء . وقد نظر الشـــاعر في هذه المواقف ، ورآها لا تنطبق على عصر بعينه وإنما صالحة في كل وقت وحين ، ولهذا راح يستدعي من الآيات القرآنية ما يؤكد هذه المعاني من قوله تعالى : ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾[25]، وهو استدعاء جاء في سياق حث الليبيين على الجهاد ضد المستعمر الإيطالي، والوقوف في وجهه مهما تعاظمت قوته ، فبإرادتهم القوية ، وإيمانهم الصادق بالله أولا ، وبعدالة قضيتهم ما يعزز من فرص الانتصار على هذا العدو ، ويدفعه إلى التخلي عن أحلامه في البقاء والاستقرار بهذا الوطن ، أو الاستحواذ على خيراته ومقدراته . وهكذا استطاع الشاعر توظيف الآية القرآنية بما يخدم غرضه، ويحقق له الهدف الذي سعى إليه من خلال هذا الاستلهام عبر هذه التقنية ، التي لا شك أنها وفرت له من الأسباب ما جعله قادرا على التعبير عن رؤاه وأفكاره ، وكذلك نقل مشاعره بكل شفافية وصدق وأمانة ، خاصة وهو يتحدث عن قضية تتطلب حشد الطاقات، واستنهاض الهمم للانتصار في معركة الوطن، وهو لا يتحقق كما يرى إلا بالتوكل على الله، والأخذ بالأسباب .

ومن الاقتباس الإشاري للشـــــــاعر أيضا، ما جاء في قوله في معرض رده على العـــذال، الذين بالغوا في عتابه ولومه، حيث يقول :

وَقُلْ لِلْعَـــاذِلِيْنَ فَلَا تُمَارُوا
إليكُمْ دَيْنَكُمْ وَإلى دِيْنِـــي[26]،

فقد عمل الشاعر من خلال البيت السابق على استلهام مضمون النص القرآني الذي يقول فيه المولى سبحانه وتعالى : " لكم دينكم ولي دين "[27]، وقد جاءت الآية الكريمة في إطار رد الرسول عليه الصلاة والسلام القاطع، على الكفار الذين رفضوا دعوته، والإيمان بما أنزل عليه من ربه. وقد حاول الشاعر الإفادة من هذا الرد القاطع، وتوظيفه هو أيضا في رده على العذال الذين يحاولون التفريق والحيلولة بينه وبين من يحب، وأن يكون موقفه هذا بمثابة القطيعة بينه وبينهم، كما قطع الرسول عليه الصلاة والسلام ، بينه وبين الكفار بسبب مواقفهم منه .

الاقتباس من الحديث الشريف :

احتل الحديث الشريف في قلوب المسلمين ونفوسهم بعد القرآن الكريم مكانة عظيمة ودرجة رفيعة ، لما جاء فيه من إيضاح للكثير من الأمور العقادية ، والجوانب التشريعية التي تمس حياة المسلم ، وتنظم أمر دينه ودنياه قال تعالى : ﴿وما ينطق عن الهوى إن هوى إلا وحي يوحى﴾ [28]، وبهذا فقد حظيت هذه الأحاديث باهتمام المسلمين ، وشملت بعنايتهم ، فراحوا يتدارسونها ويعكفون على تناول ما جاء فيها بالشرح والتفصيل ، هذا إلى جانب ما وجدوا فيها من نواح بلاغية ، وأســـــاليب فنية ، لفتت انتباه أهل اللغة والأدب واستحوذت على إعجابهم ، الأمر الذي دفعهم إلى محاكاتها في نصوصـــهم ، واستلهام معانيها ودلالاتها وأساليبها في صياغاتهم .

يقول الشاعر أبو الصلت أمية بن عبد العزيز ، موظفا لأحد الأحاديث الشريفة ومستلهما لبعض معانيها:

أَلَا إنَّ أيـــــّامَ الحَيَاةِ بِأَسْرِهَا
مَرَاحِلُ نَطْوِيهَا وَنحْنُ بِهَا رُكْبُ [29]،

([25]) سورة البقرة، الآية 249 .

([26]) أحمد الشارف دراسة وديوان، ص 145 .

([27]) سورة الكافرون، الآية 6 .

([28]) سورة النجم ، الآيات 3 ، 4

([29]) ديوان الحكيم أبي الصلت، جمع وتحقيق: محمد المرزوقي، دار أبوسلامة للطباعة والنشر، تونس، ص 51 .

ففي هذا البيت إشارة واضحة لحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، الذي يقول فيه : " إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها "[30]، وقد أشار الشاعر إلى مضمون هذا الحديث ، من خلال ما صاغه من ألفاظ وعبارات ، كشفت عن رؤيته للدنيا ، وما تتسم به من صفة الفناء والزوال ، التي تطال كل من عليها ، وأن التمسك بها ومحاولة التشبث بالبقاء فيها ، هو أمر في غاية السـذاجة وقلة العقل ، ولهـذا يتوجب على المسلم التزود منها بما يفيده في أخراه ، وأن يحرص كل الحرص على ما يرضي خالقه ، ويقربه من محبته وعفوه .

وقد دعا الشاعر ابن جبير الأندلسي ، في إحدى قصائده إلى العفة وحسن الخلق ، وغض البصر عن المحرمات ، واحتج في ذلك بحديث الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه : " إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة ، فزنى العينين النظر ، وزنى اللسان النطق ، وَالنَّفْسِ تَتْمَنَى وَتَشْـتَهي ، وَالفَـرج يَصْـدِقُ ذَلِكَ أو يكذبه " [31]، فجسد ذلك ابن جبير بقوله :

صُنِ العَقْلَ عَنْ لَحْظَةٍ فِي هَوَىً
فَإِنَّ البَصِيـرَةَ طَوْعُ البَصْرِ

***

وَغُضِّ الجُفُونَ عَلَى عِفَّـةٍ
فَإِنَّ زِنَا العُيُـون النَّظَـرُ[32]،

ويقول الشاعر أحمد الشارف ، مستلهما لبعض أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومحاولا توظيف مضامينها :

وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ الأَشْوَاقَ طَبْعًا
فَلَا يَصْبُو لِضَـاوِيةِ الجَبِينِ

***

وَأَنْـتَ لَمـا خُلِقْتَ لَهُ مُهَيَأَ
كَمَا وَرَدَ الحديث عن الأَمِـينِ[33]،

فأي حديث يتحدث عنه الشاعر أحمد الشارف، إنه حديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه : " كل ميسر لما خلق "[34]، وقد حاول الشاعر الإفادة من معاني هذا الحديث، وتوظيفها في التعبير عن ما يعانيه من تباريح الهوى ، ولواعج الحب، وما يستهويه من صور الجمال وأشكال الحسن، التي شغلت نفسه وقلبه ، فصار أسيرها، بحكم طبعه الإنساني الذي فطر على الميل إلى الجمال، والتعلق به وبصوره المتعددة، وأن من ينكر عليه هذا التعلق فهو لا يفهم طبيعة النفس البشرية، ولا أسرارها، وعليه أن يقرأ كتاب الله، وأن يطلع على أحاديث رسوله، التي تؤكد هذه المعاني، وإن لم يصل إلى قناعة فهو ليس بأهل للحب، ولا للتمتع بضاوية الجبين، لما في قلبه من غلظة ونفسه من قسوة، وليترك الحب والصبابة والإحساس بالجمال لأهله الذين هيأهم الله له .

ويقول الشاعر أيضا في بعض قصائده :

وَكَمْ نَقَلَ الوَاشِيُ حَدِيثًا مُضَعَّفًا
فَيُوهَمُ أَنِّي قَدْ تَخَلَيْتُ عَنْكُـمُ

***

عَلَى أَنَّهُ يَرْوِي حَدِيثًا مُجَـرْدًا
بِلَا سَنَدٍ مَا كَانَ يَرْوِيهُ مُسْلِمُ [35]،

فهذه الأبيات تعكس الثقافة الدينية والتشريعية ، التي يتمتع بها الشاعر ، حيث استخدم بعض مصطلحات الحديث مثل "مضعفا " ويقصد الحديث الضعيف ، والحديث الضعيف هو " كل حديث لم تجتمع فيه صفات القبول ، وقال أكثر العلماء هو ما يجمع صفة

([30]) أحمد بن حنبل(د ت) مسند الإمام أحمد بن حنبـل ، ج1 ، مؤسسة قرطبة ، مصر ، ص 391 .

([31]) أبو داود، سليمان بن الأشعث(د ت) سنن أبي داود ، محمد محي الدين عبدالحميد، ج 2، دار الفكر، ص 246

([32]) ديوان ابن جبير الأندلسي(1999م) جمع وتحقيـق: منجـد مصطفى بهجت، دار الرفاعي، الرياض، ص 101

([33]) أحمد الشارف دراسة وديوان ، مرجع سابق، ص 146

([34]) مسلم، صحيح مسلم ،(د.ت) محمد فؤاد عبدالباقي ، ج 3 ، دار إحياء التراث ، بيروت، ص 1242 .

([35]) أحمد الشارف دراسة وديوان ، مرجع سابق، ص 57 .

الصحيح الحسن "[36]، وقد أراد الشاعر عبر توظيف هذا المصطلح ، نفي ما ينقله الواشون من أحاديث وأقاويل على لسانه إلى أحبته ، بأنه قد تخلى عنهم وعن هواهم ، ونسي ما كان بينه وبينهم من ود ، بأن وجد ما يسليه عن هذا الحب ويشغله عنه ، وهذا إيهام لهم وتغير للحقيقة ، وحديث ليس له سند . والحديث المسند هو " ما اتصل إسناده من راويه إلى منتهاه ، ولذلك في وصفه أيضا : أنه متصل أو موصول "[37]، وهكذا سعى الشاعر من خلال استخدامه لهذه المصطلحات ، تأكيد بقائه على عهد أحبته ، خلافا لما يدعيه بعضهم، ويحاول ترويجه عنه .

وإن كان هذا التوظيف من وجهة نظرنا لم يطبع بالطابع الفني لمفهوم الشعر ، الذي يرتكز على جمال الصورة ، ورونق الألفاظ و روعة الخيال ، وهو ما لم يتحقق في هذه الأبيات حيث ركز الشاعر جل اهتمامه على الوزن والقافية، وهو جانب من جوانب العملية الشعرية ، وليست العملية الشعرية بكل مقوماتها وركائزها ، ولعل فقه الشاعر وعلمه الشرعي ، قد طغى في هذه الأبيات على موهبته الشعرية ووجهه هذا التوجه ، أو هي محاولة منه لاستعراض قدراته الابداعية ، وإمكاناته الفنية في الصياغة وبراعة الأسلوب ورغم ذلك تظل تجربة فنية تبناها الشاعر وحاول من خلالها قطع الطريق ، على من يشكك في صدق مشاعره تجاه أحبته ، محاولا إثبات ذلك وتأكيده عبر توظيفه لهذه المصطلحات .

توظيف القصص القرآني :

امتاز القصص القرآني بسمو غاياته، وشريف مقاصده، وعلو مراميه، بما حواه من أبواب كثيرة تهتم بحياة الإنسان وسلوكه وطباعه، وبنشر الحكمة والآداب بطرق مختلفة، تتسم أحيانا بالحوار، وأحيانا أخرى بالحكمة والاعتبار، والتخويف والإنذار، كما سجل تاريخ الرسل والأنبياء مع أقوامهم، والشعوب مع حكامهم، ونقل أيضا أخبار أقوام هدوا إلى الحق، وأقوام أخرين ضلوا الطريق، فكان مصيرهم الهلاك. ووقع عليهم العذاب، فأصبحت سيرتهم مضربا للأمثال ومثارا للتأمل، كل هذا في أسلوب بديع، وألفاظ رائعة، وتصوير مثير يأخذ بالأسماع والقلوب، ويستهوي العقول والنفوس، ليصبح هذا القصص القرآني مجالا خصبا للإبداع الأدبي بشكل عام، والشعري بشكل خاص ، سواء من خلال تمثل أساليبه الفنية والإبداعية ، أو التأسي بأصحاب تلك القصص ومقارنة الشاعر حاله بحالهم، والتعبير كذلك عن معاناته ، وما يقع عليه من ظلم وإساءة أو غير ذلك من أمور الحياة وملابساتها عن طريق هذا التوظيف .

فمن القصص القرآني التي تناولها الشعراء على سبيل المثال ، قصة سيدنا موسى عليه السلام وقصة عصاه ، وما فيها من الآيات الدالة على قدرة الله وعظمته ، فبهذه العصا فلق سيدنا موسى عليه السلام البحر ، وجعله كالطود العظيم ، وشق في وسطه طريقا لبني اسرائيل ، عندما أدركهم فرعون وجنوده ، وها هو الشاعر الرصافي البلنسي يعمل على توظيف هذه القصة ، في دعم قوله وزيادة حجته واثبات رأيه في بعض المواقف التي تعرض لها حيث يقول :

إِذَا صَـــدَعْتَ بِأَمْرِ اللّٰهِ مُجْتَهِدًا
ضَرَبْتَ وِحْدَكَ أَعْنَاقَ الجَمَاهِيرِ
لَا تَذْهَـــلَنَّ لِتَقْلِيلِ أَخُو سَـبَبٍ
مِن الأُمُورِ وَلَا تَركَنْ لِتَكْبِيرِ

***

فَالبَحْر قَدْ عَادَ مَنْ ضَرْبِ العَصَا يَبِسَا
وَالأَرْضُ قَدْ غَرِقَتْ مِنْ فَـــوْرِ تَنْوِرِ[38]،

([36]) محمد عجاج الخطيب(1992م) أصول الحديث ومصطلحاته، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ص45 .

([37]) صبحي الصالح(2000م) علوم الحديث ومصطلحاته، دار العلم للملايين، بيروت ، ص 74.

([38]) ديوان الرصافي البلنسي(1983م) تحقيق: إحسان عباس ، دار الشروق ، بيروت ، ص 96 .

فقد حاول الشاعر من خلال هذه الأبيات ، أن يثبت أن القوة لا تكمن في الكثرة ، وإنما في الأسباب التي يهيئها الله بقدرته ، فيترتب عليها النصر والنجاة كما كان مع سيدنا موسى عليه السلام وفرعون ، وكذلك ما كان من غرق الأرض في عهد سيدنا نوح عليه السلام عندما فار التنور ، وهلك الكفرة ونجى الله نبيه ومن آمن معه ، وكل تلك القصص هي حجج أراد بها الشاعر تأكيد فكرته حول النصر وأسبابه ، وهو ما يمثل الهدف الأول والأخير من هذا الاستدعاء .

ومن القصص القرآنية التي استدعاها الشعراء أيضا ، قصة سيدنا سليمان عليه السلام ، فهي من القصص التي أغنت ثقافة الشعراء ، وألهمتهم بالكثير من الأفكار والعبر ، ومنها تسخير المولى عز وجل له الريح تجري بأمره، والجن تعمل لخدمته وتحت سيطرته، كما جاء في قوله تعـــــالى: "ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمره نذقه من عذاب السعير "[39]، وعلمه منطق الطير كما قال تعـــــالى: "وورث سليمان داود وقال يأيها الناس علمنا منطـــق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين"[40]، وكذلك قصة الهدهد الذي غاب عن ســـــيدنا سليمان عليه الســـــلام، وتوعده بالعذاب أو بالذبح إن لم يكن لغيابه ســـبب، فجاءه ومكث، فقال كما جاء في قوله تعالى: ﴿فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين﴾[41]، لقد استلهم الشعراء هذه القصص جميعا ، ووظفوها في أشعارهم ولاسيما قصة الجن ، التي وجد فيها الشعراء خير منهل للمدح ، فإنها تجمع عظمة ملك سليمان التي يمكن أن يصف بها الممدوح ، وجعل أعدائه كالجن خدما له . ومن الذين تطرقوا لهذا الغرض الشاعر ابن سهل الأندلسي ، وهو يمدح أبا عثمان بن الحكم ، وجعل آل أصفر خدما له مستلهما قصة الجن مع سيدنا سليمان عليه السلام قائلا :

يَا آلَ أَصْفُرَ هَبْكُمْ لِلْوَغَى شَرَرًا
فَهَذِهِ الشَّمْسُ تُطْفِئْ ذَلِكَ الضَّرَمَا

***

هَذَا سُلَيْمَانُ مَلِكًا شَامِخًا وَتَقِــى
وَأَنْتُمْ الجِنّ فَلْتَصْحُوا لَهُ خَدَمَـا [42]،

وكما نرى فقد جعل الشاعر ممدوحه سيدنا سليمان عليه السلام ، في ملكه وعظمته وتقواه ، وجعل آل أصفر هم الجن في خدمتهم له ، وهكذا أفاد الشاعر من القصة القرآنية ، وجعلها احدى الوسائل التي استخدمها في التعبير عن أفكاره .

وقد كان لشاعرنا أحمد الشارف ، هو الآخر توظيفاته للقصص القرآني ، ومنها توظيفه لقصة سيدنا يعقوب وابنه يوسف عليهما السلام ، فهي من أحسن القصص كما أشار المولى في قوله تعـــــالى : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾[43]، وقيل سميت أحسن القصص لصدقها وسلاسة عباراتها ورونق معانيها ، وقيل لما فيها " من العبر والعجائب واللطائف ، وقيل ســماها أحسن القصص لحسن مجازاة يوسف أخوته وصبره على أذاهــم ، وكرمه وعفوه عن ما فعلوه به عند الالتقاء بهم " [44]، .

وقد ألح الشعراء على توظيف هذه القصة في أشعارهم، باعتبارها النموذج الأمثل في نظرهم ، بسبب ما تضمنته من قيم إيمانية وإنسانية ، كالتقوى

([39]) سورة النمل ، الآية 16.
([40]) سورة سبأ ، الآية 12 .
([41]) سورة النمل ، الآية 22 .

([42]) ابن سهل(1967م) ديوان ابن سهل الأندلسي ، قــدم لــه: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ص 207 .
([43]) سورة يوسف ، الآية رقم 3 .
([44]) الدراجي(1986م) محمد عباس، الإشعاع القرآني في الشعر العربي، عالم الكتاب ، مكتبة النهضة، بيروت، ص 151 .

والاحتمال والصبر والصفح والعفو والكرم وغيرها من المضامين التي جعلت الشعراء يستلهمونها ويستدعون الكثير من شخصياتها في أشعارهم ، ومن هؤلاء الشعراء شاعرنا أحمد الشارف الذي كان لما وصف به سيدنا يوسف عليه السلام من حسن وجمال ، أثره في نفسه ولهذا راح يسقطه على من يحب ، ويشبهه به ، كما فعل غيره من الشعراء ، كما كان لمعاناة سيدنا يعقوب عليه السلام ، وصبره على ما لاقاه من ألم ومكابدة ، جراء فقدانه لأبنه وغيابه عنه لسنين عديدة ، وقعه أيضا في نفس شاعرنا وأثره ، ولهذا عمد إلى استدعاء هذه الصور وهذه المعاني والمواقف من هذه القصة القرآنية ، محاولا توظيفها فيما يخدم نصه الشعري، ويؤكد أغراضه، ومنها قوله في إحدى قصائده:

فَالعَيْنُ مِنْ شَوْقِي تَبْكِي دَمَــا
وَالقَلْبُ فِيـــهِ شَهِيقَـــه وَزَفِـيرُهُ

***

فَكَأَنَّهُ فِي كُلِّ حُسْـــنٍ يُوسِفَ
وَكَأَنَّنِي فِي شَجْوَتِي يَعْقُوبَـــــهُ (45)،

فالشاعر يشكو في هذه الأبيات من شدة شوقه وحنينـــــه إلى المحبوب ، فالعين تبكيه حرقة بل تبكيه دما لفراقه وطول غيابه ، والقلب لا ينقطع حزنه وأساه على فقدان أعز الناس وأحبهم إليه ، كيف لا وهو الذي لا يناظره حسنا وجمالا إلا سيدنا يوسف عليه السلام ، الذي وصفه ربه و أثنى عليه وعلى حسن صورته ، بل كان في جمال خلقه ، وسحر طلعته فتنة للناظرين . قال المولى عز وجل ، مؤكِّداً على هذا المعنى : ﴿حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم﴾(46)، ومن هذا الوصف الرباني استمد الشاعر وصف محبوبه ومنه استلهم معاني الحسن والجمال فيه ، غير أن البعد والفراق حال بينه وبين الأنس بقربه ، والاستمتاع برؤيته ، كما حال بين سيدنا يعقوب عليه السلام وابنه يوسف ، حيث عاش سنين يعاني الحرمان ويتجرع مرارته ، حتى فقد بصره حسرة وكمدا على غيابه ، ولم يهنأ له بال و لا صلح له حال ، إلا برجوع سيدنا يوسف عليه السلام إليه ، فارتد بصيرا وعاد إليه فرحه وسعادته . وقد حاول الشاعر أحمد الشارف اســتثمار هذه التجربة الإنسانية ، وإسقاطها على تجربته وفق رؤية فنية منحت نصه إيضاحا في المعنى وقوة في الدلالة وجمالا في الأسلوب ، وهو ما يسعى كل شاعر إلى تحقيقه ، والوصول إليه من هذا الاستدعاء القصصي .

ومن صور الاستلهام الأخرى لقصص القرآن الكريم من قبل الشاعر ، استلهامه لقصة فرعون التي صور أحداثها القرآن الكريم ، كما صور كيف كانت نهايته ، بعد استكباره وجحوده وعصيانه لأمر الله . يقول الشاعر موظفا لهذه القصة :

دِيَارُكُمْ أَصْبَحَتْ عَنْهـَا مُقَيَّدا
وَغَيْرِي إِلى تِلْكَ الدِّيــيرِ طَلِيقُ

***

وَمَــا أَنَا فِرْعَوْنُ الغَرِيقَ بِآلِهِ
وَإِنْ كُنْتُ فِي بَحْرِ الدُّمُوعِ غَرِيقُ (47)،

مثل فرعون دائما صورة للعناد والبغي والظلم والتكبر، ومعاداة الحق وركوب الباطل ، فقد أرسل الله إليه سيدنا موسى عليه السلام ، ليدعوه إلى طريق الهداية والإيمان بالله وحده فأبى واستكبر وتمادى في غيه وعناده ، حتى قال كما جاء على لسانه في قول المولى عز وجل : ﴿ فقال أنا ربكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾(48)، فكان هذا القول غاية في الكفر والجحود وإنكار الحق ، ولم يكتف بذلك بل

(45) أحمد الشارف دراسة وديوان ، مرجع سابق، ص 168 .
(46) سورة يوسف ، الآية 31 .
(47) أحمد الشارف دراسة وديوان ، مرجع سابق، ص 392 .
(48) سورة النازعات ، الآيات من 24 ، 25 ، 26 .

أمر قومه باتباعه فاتبعوه إلا القليل منهم وقال كما جاء في القرآن الكريم : ﴿قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾[49]، وبهذا أضل قومه وسلك بهم طريق الهلاك ، فكان مصيره ومصيرهم واحد في الدنيا والآخرة .

وقد حاول الشاعر الشارف العمل على توظيف هذه القصة ، واستدعاء أحداثها ، خاصة فيما يتعلق بحادثة الغرق، التي حلت بفرعون وجنوده ، والذي رأى فيها الشاعر حادثة تشـــبه ما جرى عليه ، غير أن غرقه كان نوعا آخر، فهو لم يغرق حقيقة كما حدث مع فرعون، بل كان غرقه مجازا ، فبحره الذي غرق فيه هو بحر من الدموع التي كان يذرفها شوقا وحنينا ولوعة ، على فراقه لأحبته ، الذين حال بينه و بينهم المسافات وباعدت بينه وبينهم الدروب ، ولعل ما ضاعف من حرقته وألمه ، ما رآه من حرية لغيره في الوصول إلى ديار أحبته وخلانه ، بينما يجد نفسه مقيدا ومكبلا عن الوصول إليها ، مما جعله يعيش حالة من الكآبة والألم والحزن لا تفارقه . ورغم ما بين التجربتين – تجربة الشاعر وفرعون – من بون شاسع وفرق كبير من حيث المضمون والهدف ، غير أن شاعرنا وجد فيها بعض ما يناسب تجربته ، ويمنحه فرصة التعبير بواسطتها عن بعض المشاعر والأحاسيس ، التي تملكته جراء ما مر به من معاناة ، كان لها وقعها وأثرها على نفسه ، وعلى أشعاره.

استدعاء الشخصيات الدينية :

تعد الشخصية التراثية بشكل عام ، والدينية بشكل خاص ، إحدى الأدوات والتقنيات الفنية التي يلجأ إليها الشاعر ، ليتخذ منها الصوت الذي يعبر من خلاله عن جمـــلة من القضايا والأفكار والرؤى ، التي تشغل حيزا كبيرا من اهتمامه، وبهذا تحولت هذه الشخصية وأصبحت وسيلة هامة " تمنح الشاعر مجالا للتعبير ، ليفصح عن خواطره ، وفق توجه فني يبعد القصيدة عن المباشرة والسطحية من جهة ، وينأى عن أن يكون الشاعر عرضة للأذى ، والملاحقة من جهة أخرى "[50]، كما أن هذا الأسلوب يفتح له آفاقا جديدة لتطوير أدواته الفنية ، ووسائله الإبداعية ، هذا إلى جانب ما تحمله هذه الشخصيات من قيم دينية وأخلاقية مثلى ، تعكس روح الإسلام ، وتعاليمه السمحة ، كالصدق والعدالة والحياء والتسامح والشجاعة والفروسية والشهامة والحكمة ، وكلها مبادئ وقيم تحلت بها عدد من الشخصيات ، كشخصية الرسول عليه الصلاة والسلام ، وشخصيات الخلفاء الراشدين ، والفقهاء والعلماء والزهاد ، وغيرها من الشـــخصيات التي ضمنت بقاءها في ذاكرة الأمة ، وذاكرة شعرائها الذين عملوا على استلهامها ، وتوظيفها في الكثير من أشعارهم .

إن " توظيف الشخصية التراثية في الشعر العربي المعاصر ، يعد أحد أطوار علاقة الشاعر المعاصر بموروثه ، هذه العلاقة التي بدأت بالمحاولات الأولى لإحياء التراث في بداية عصر النهضة ، مرت بعدها بعدة أطوار حتى انتهت إلى صيغتها الأخيرة ، وهو توظيف الشخصية التراثية أو التعبير بها "[51]. هذا وقد تعددت طرق استدعاء الشخصية التراثية من قبل الشعراء المعاصرين وتنوعت ، حسب رؤية كل شاعر وأسلوبه ووسائله التي يستخدمها عند قيامه باستدعاء الشخصية المستهدفة ، والغرض من استدعائه لها ، وهذا التعاطي يكون كالآتي :

([49]) سورة غافر ، الآية 29 .

([50])محمد علي كندي(2003م) الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، دار التاب الجديدة المتحدة، بيروت ، ص 137

([51]) علي عشري زايد(1978م) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، الشركة العامة للنشر ، طرابلس ليبيا ، ص 15.

- استدعاء الصفات: أي استدعاء صفة من صفات الشخصية، التي تناسب تجربتها تجربة الشاعر، حيث يستعير هذه الصفة، ويجعلها محور نصه الشعري.
- استعارة بعض أحداث الشخصية أو مواقفها، للتعبير عن دلالات معينة باستخدام هذه الأحداث والمواقف.
- اقتباس بعض أقوالها ويكون هذا الاقتباس مقصودا، ولا يكون مقصودا لذاته، ولكن لقيمته التراثية الخاصة "[52]، .

هذه هي بعض التقنيات التي يستخدمها الشعراء ، ويتوسل بها عند مقاربته لأي شخصية تراثية، يطمح للاستعانة بها على إثراء نصه، وإغناء تجاربه ومنحها أصالة وشمولا، وهذا ما يتضح عند تتبعنا لإنتاج كثير من الشعراء الذين نهجوا هذا النهج، أو سلكوا هذا المسلك. ويأتي في مقدمة الشخصيات التراثية التي كثيرا ما يتم استدعاؤها من قبل الشعراء، شخصيات الأنبياء والرسل عليهم السلام، فهي تعد من أكثر شخصيات التراث الديني حضورا في شعرنا المعاصر، وذلك بسبب ما يتراءى لنا من روابط وثيقة بين تجاربهم، وبين تجربة الشاعر الأصيل المبدع، فكل منهم يحمل رسالة إلى أمته، فإذا كان الرسول أو النبي يحمل رسالة دينية سماوية، فإن الشاعر يحمل أيضا رسالة إنسانية رائعة لها دورها، وأهميتها في المجتمع، ولهذا دأب الشعراء المعاصرون على استدعاء هذه الشخصيات، إلى جانب الشخصيات الأخرى ممن كان لها أثرها في الحياة في كل عصر، ويحاول الشعراء التعبير عبر هذه الشخصيات عن معاناتهم وهمومهم، وطرح بعض الرؤى والأفكار المتعلقة بعصرهم.

وقد أتت شخصية رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، في مقدمة الشخصيات الدينية التي حظيت باهتمام الشعراء ، ووجدت صدى واســـعا في أشعارهم ، لما لها من مكانة عالية ورفيعة في قلوب الشعراء ، جعلتهم يعكفون على إظهار دورها في إنقاذ البشرية من حالة الضلال التي كانت بها ، إلى نور الهدى والصلاح ، الذي يقربها من ربها ثم الإشادة أيضا بما تحلت به هذه الشخصية ، من نبل الأخلاق وكرم الطباع التي ليس لها حدود ، وكلها صفات تميزت بها ، وفرضت وجودها على الشعراء ، وعلى أشعارهم قديما وحديثا ، ولعل من أهم هذه الأشعار والقصائد التي لقيت صدى كبيرا عند الشعراء ، حتى راح الكثير منهم ينسج على منوالها ، قصيدة الشاعر كعب بن زهير التي مدح فيها الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقال في بعض أبياتها :

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ أَوْعَدَنِـــي
وَالعَفْوَ عِنْدَ رَسُولِ اللّٰهِ مَأْمُـــولُ

***

وَقَدْ أَتَيْتُ رَسُـــولَ اللّٰهِ مُعْتَذِرًا
وَالعُذْرَ عِنْدَ رَسُـــــولِ اللّٰهِ مَقْبُولُ

***

مَهْلًا هَدَاكَ الذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ القُـرآن
فِيهِـــا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصَـيلُ

حتى يقول :

وَإِنَّ رَسُولَ اللّٰهَ لَنور يَسْـتَضَاءُ بِهِ
مُهَنَّدٌ مِنْ سُـــيُوفِ اللّٰهِ مَسْـلُولُ [53]،

وكذلك مدح الإمام البوصيري للرسول صلى الله عليه وسلم ، في قصيدته البردة ، والتي يقول في بعض أبياتها مادحا ، ومثنيا على بعض صفاته الكريمة :

فَاقَ النَبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُـقٍ
وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَـــرَمٍ
وَكُلُّهُمْ مَنْ رَسُـولِ اللّٰهِ مُلْتَمِـسُ
غَرْفًا مِنَ البَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدِّيَمِ [54]،

وكذلك من الشخصيات الدينية، شخصيات الخلفاء الراشدين التي كان لها أيضا وجودها في شعر الشعراء، من خلال ذكر خصالها الكريمة، ودورها

([52]) المرجع السابق، ص 244 ، 245 ، 246 .

([53]) صلاح عيد (2008م) المدائح النبوية في الشعر العربي من عصر النبوة إلى البوصيري ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ص 63 .

([54]) المرجع السابق ، ص 262 .

التاريخي في نصرة رسول الله صلى عليه وسلم، ونصرة الإسلام ، والمساهمة في نشره في بلدان كثيرة. فمن ضمن الشعراء الذين وقفوا عند هذه الشخصيات ، الشاعر ابن الصباغ الجذامي ، حيث يقول في إحدى قصائده :

حِزْتُمْ العَلْيَا وَفُزْتُمْ بِالْمُنَى
يَا صَحَابَةَ النَبِيِّ أَحْمَدَ
***
مَنْ لِعَلْيَا أَبِي بَكْـــرِ الذِي
حَـازَ بِالإِيثَارِ بَيْضَـاءُ إِلَدِ
***
أَوْ مِثْـلِ عُمَرُ الفَارُوقِ فِـي
نَصْرِ دَينِ اللّهِ يَوْمَ المَشْـهَدُ
***
أَوْ كَعُثْمَان شَهِيـدِ الدَّارِ ذِي
الصَّـلَوَاتِ وَالتَّقِى وَالسُـؤْدَدِ
***
أَوْ عَلِيّ ابْنِ عَمِّ المُصْطَفَى
الهُمَـامُ الفَارِسُ المُـؤَيَّدُ[55]،

وكما كان للشعراء استدعاء لهذه الشخصيات الإيجابية من التراث الديني، فقد كان لهم أيضا استدعاء لبعض الشخصيات السلبية، ومن هذا الاستدعاء ما قام به الشاعر ابن حمديس من استدعاء لشخصية مسيلمة ، وما تحمله من دلالات الكذب، وادعاء الباطل، فقد عمل هذا الشاعر على إسقاط هذه الدلالات على أحـد المنجمين الذي أخطأ في تنجيمه فقال فيه :

لَقَدْ ظَلَّ عِبَادَ النُجُومِ وَمَا اهْتَدُوا
بِبَعْثِ رَسُـولٍ لِلْأَنَامِ وَلَا ذِكْـرِ
***
وَكَمْ فِي الدُّنْيَا لَهُمْ مِنْ مُمْخْرَقٍ
مِنْ النَّاسِ مَطْوِيّ الضُّلُوعِ عَلَى غَمْرِ
***
إِذَا جَالَ فِي عِلْمِ الغُيُوبِ حَسِبْتُهُ
مُسَـيْلَمَةُ الكَذَّابُ قَامَ مِنَ القَـبْرِ[56]،

وقد كان لشاعرنا أحمد الشارف أيضا ، وقفاته مع هذا الغرض من أغراض الشعر ، حيث قام باستدعاء شخصية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، مشيدا بدورها الديني والإنساني ، ومعددا لبعض خصالها الكريمة التي اتصفت بها ، ومنها قوله في إحدى قصائده :

فَإِذَا اتْبَعَتَ اللّهَ فِي أَمْرٍ وَفِـي
نَهْيٍ بَلَغْتَ مِن المُنَى أَقْصَـاهُ
***
وَحَبَاهُ بَالخَلْقِ العَظِيمِ وَحَبـذَا
مَنْ كَانَ بِالخَلْقِ العَظِـيمُ حَبَـاهُ
***
فاللّهُ قَدْ بَعَثَ النَبِـيَّ مُحَمَّـدًا
لِتَؤُمَـهِ وَلَتَهْتَـدِي بِهُـدَاهُ
***
لَوْلَاهُ مَا اتْضَحَ السَبِيلُ إِلى الهُدَى
كَلَا وَلَا عُرِف الـهُدَى لَـوْلَاهُ[57]،

ويتضح من هذه الأبيات الشعرية ، حرص الشاعر على الإشارة إلى أن سعادة الإنسـان وفوزه في الدارين ، الدنيا والآخرة لا يتحقق إلا بإتباع أوامر المولى عز وجل ، والاقتداء برسوله الكريم وبهديه ، فهو من اختاره الله سبحانه وتعالى لتبليغ رسالته ، وحباه من الفضائل والصفات ، في خلقه و خلقه ، ما يعجز اللسان عن التعبير عنه ، أو الإلمام به لكثرة ما اتصف به صلى الله عليه وسلم ، وما أنعم به المولى عز وجل عليه . وتأتي هذه الإشادات من الشاعر انطلاقا من حبه وإجلاله للرسول صلى الله عليه وسلم،

([55]) ديوان ابن الصباغ(2003م) تقديم وتحقيق: نـور الهـدى الكناني ، المجمع الثقافي أبو ظبي ، الإمـارات المتحـدة ، ص 199، 200.

([56]) ديوان ابن حمديس(1960م) صححه وقدم له: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ، ص 224 .

([57]) أحمد الشارف دراسة وديوان ، مرجع سابق، ص 347 .

وطمعا في التقرب إليه والتوسل به ، إلى محبة الخالق ونيل رضاه .

وإلى جانب شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، التي استدعاها الشاعر أحمد الشارف فقد استدعى كذلك شخصية سيدنا يعقوب عليه السلام ، وفق أسلوب إشاري ، كما جاء في إحدى قصائده ، فيقول :

قَدْ جَاءَتْ البُشْرَى لِمَنْ صَبَرُوا عَلَى
مَا نَالَهُمْ وَاللهِ يَجْزِي مِنْ صَـبرِ

***

وَفَضِيلَةُ الإِنْسَـان رَاجِعَـةٌ إِلَى
نُورِ البَصِيرَةِ لَا إلى نُورِ البَصَرِ[58]،

فالشاعر في هذه الأبيات يستلهم بعض ما تميزت به هذه الشخصية، وفي مقدمتها الصبر، والرضا بقضاء الله سبحانه وتعالى، والذي تجلى و بكل وضوح بعد حرمان سيدنا يعقوب عليه السلام من رؤية ابنه يوسف، وما أورثه ذلك الحرمان له من بالغ الحزن والألم والدموع، التي طالت سنين وسنين، حتى أفقدته بصره. وقد رأى الشاعر أحمد الشارف في هذه الشخصية مناسبتها لإسقاط تجربته عليها، فراح يستدعيها ويستدعي دلالاتها، فهو الآخر عاش محنة الشوق والحرمان، خاصة بعد أن فقد بصره، وتخلى عنه الأصحاب والأحباب، فكان لهذه التجربة بالغ الأثر على نفسه، بل لعلها هي من دفعته لاستدعاء شخصية سيدنا يعقوب عليه السلام، الذي رأى فيه خير العزاء والسلوى، لما يمر به من محنة طالت آلامها ومعاناتها، وإذا كان المولى عز وجل كافأ سيدنا يعقوب عليه السلام على صبره ورضاه بقدره، بعودة ابنه إليه، وعودة بصره كذلك، فهو الآخر يأمل من الله أن يكون لصبره ورضاه أيضا حسن الثواب، وحسن الجزاء في الدنيا والآخرة .

أما البيت الثاني فقد تحدث فيه الشـاعر عن قضية أخرى، لها ارتباطها أيضا بالقضيـة الأولى وهي قضية فقدان البصر، الذي قد يصاب به الإنسان لأي سبب كان، والشاعر يرى أن الإنسان وإن فقد هذه الحاسة، فإنه يستطيع تعويض ذلك بما يمنحه له الله من نور لبصيرته، وهي الأهم في نظر الشاعر فالله سبحانه وتعالى يقول: "فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ"[59]، وقد حاول الشاعر الربط بين هذه الآية الكريمة، وبين ما يتحلى به سيدنا يعقوب عليه السلام من علم ومن حكمة ومعرفة، رغم فقدانه لبصره، وما يتحلى به هو أيضا، وهي حكمة عظيمة، ومنة بالغة من منن الله على الإنسان، ومن الشخصيات الدينية الأخرى التي استدعاها أحمد الشارف في شعره، شـخصية ابن أدهم.

وهو " إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي أبو إسحاق. زاهد مشهور. كان أبوه من أهل الغنى في بلخ . تفقه في الدين ورحل إلى بغداد ، وجال في العراق والشام والحجاز، وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة. وكان يعيـش من العمـل والحصاد وحراسـة البساتين، والحمل والطحن ، ويشـترك مع الغزاة في قتال الروم ، وجاء إلى المصيصة من أرض كليكيا، وكان ينطق بالعربية ولا يلحن ، وإذا حضر مجلس سفيان الثوري وهو يعظ أوجز في كلامه مخافة أن يزل. والأرجح أنه مات ودفن في سفتن ، وهي حصن من بلاد الروم كما في تاريخ ابن عساكر "[60]،

إن ما عرف عن هذه الشخصية من تقوى وصلاح وزهد وتفقه في الدين ، جعل منها شخصية ذات خصوصية وتميز في التراث الإسلامي ، وهو ما دفع شعراء كثراً لاستدعائها في نصوصهم الشعرية ، واستلهام ما اتسمت به ، لتوظيفه فيما يخدم أغراضهم ويثري تجاربهم ، وقد كان الشاعر أحمد الشارف أحد هؤلاء الشعراء ، الذين حاولوا الإفادة من دلالات هذه

([58]) المصدر نفسه ، ص 54 .

([59]) سورة الحج ، الآية 46 .

([60]) الزركلي، خير الدين(1995م) الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ص 31 .

الشخصية ، واستخدامها في تسليط الضوء على بعض القضايا والآفات المجتمعية ،ومن بينها النفاق والكذب والاحتيال ، تلك الظواهر السلبية ، التي رأى الشاعر ضرورة محاربتها والتحذير منها ، لتجنيب المجتمع الكثير من أضرارها وويلاتها عبر وسائل عدة ، ومنها الوسيلة الشعرية ، ولهذا نجده يقول في إحدى قصائده:

وَنَذْكُرُ لِلْصَاغِي فَتًى مُتَصَوِفًا
تَكَلَّفُ أَوْصَافًا بِهَا يَتَمَذْهَبُ

***

وَمَا هِيَّ أَوْصَافُ السُّلُوكِ حَقِيقَةً
وَلَكِنَّهَا أَشْرَاكٌ لَكَ تُنْصَبُ

***

إِذَا كَانَ لِلصُوفِيُ زُهْدُ ابنِ أَدْهَمِ
فَمَا بَالَهُ فِيمَا لَدَى النَّاسِ أَشْعَبُ

***

وَمَا الذِّكْرُ وَالتَسْبِيحُ مِنْهُ بِصَادِقٍ
وَلَكِنَّهُ صُنْعٌ بِهِ يَتَطَلَبُ [61]،

ويبدو لنا واضحا وجليا من خلال هذه الأبيات ، أنها تتحدث عن إحدى الشخصيات المجتمعية التي تدعي التصوف ، وتحاول أن تقنع الناس به ، من خلال الشكل أو بعض السلوكيات التي تنتهجها ، غير أن الشاعر يرى أن ما تدعيه هذه الشخصية ما هو إلا شكل من أشكال النفاق والخداع ، الذي تحاول من خلاله الوصول إلى بعض أطماعها ومصالحها ، وهو ما يتنافى في رأي الشاعر تنافيا تاما مع أخلاق المتصوفين وطباعهم ، لما عرف عنهم من مخافة للباري عز وجل ومن تقرب له ، ولهذا لجأ الشاعر لاستدعاء شخصية ابن أدهم، ليضرب بها المثل ، وليجعل منها محل مقارنة مع هذا المدعي ، الذي لبس ثوب التصوف والزهد رياء وسمعة ووسيلة للتكسب والعيش ، وهو ما يخالف الدين وما أقره الشرع .

وكما استدعى الشاعر أحمد الشارف الشخصيات الإيجابية في التاريخ الإسلامي، فقد كان له أيضا استدعاء لبعض الشخصيات المنبوذة، ومنها شخصية إبليس التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، والذي حلت عليه لعنة الله وغضبه لمخالفة أمره وعصيانه له، مما استوجب طرده من رحمته، وحرمانه من جنته، وإذا كانت هذه هي الصورة النمطية له عند الكثير من الشعراء، فإن له عند بعض الشعراء المحدثين صورة أخرى"حيث وجدت هذه الشخصية لونا من تعاطف الأدباء في العصر الحديث، وخصوصا الأدباء الرومانسيين، الذين اعتبروا تمردها تعبيراً عن النزعة إلى الحرية، وكان رائد الرومانسيين في التعبير عن تمرد الشيطان، الشاعر الانجليزي "ملتون" في" الفردوس المفقود " الذي كان بطله الأول الشيطان، وقد تغنى الشاعر بنزعته إلى الحرية، وتأثر الرومانسيون جميعا بصورة الشيطان عند " ملتون " حيث صوروه بصورة الثائر الذي نبذ قسرا من عالم الخير فاضطر إلى احتراف الشر، ومن تبنى هذه الصورة من الأدباء الرومانسيين " بيرون والفريد دي فيني وفيكتور هيجو وسواهم" [62] ، ولكن رغم هذه الصورة الإيجابية التي حاول بعض الشعراء رسمها لإبليس، فإنه يظل في نظرنا وفي نظر الكثير من الشعراء ، كما صوره البارئ عز وجل في كتابه العزيز حيث قال: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[63]، وقد عمل الشاعر أحمد الشارف على توظيف ما حملته هذه الشخصية من دلالات الجحود والنكران للحق، والعصيان لخالقها، وبما تعهدت به من

([61]) أحمد الشارف، دراسة وديوان ، مرجع سابق، ص 264.

([62]) محمد غنيمي هلال (1962م) الأدب المقارن ، مكتبة الأنجلو، مصر ، ص 213 .

([63]) سورة ص ، الآيات من 75- 78 .

غواية للإنسان للسـير في طريق الضلال، عن طريق تزيين الدنيا له، ودفعـــه لاتباع شهواتها من حلال أو حرام. يقول الشاعر:

فَفِي هَذِهِ الدُّنْيَـا ثَلَاثٌ تَغَلَّبَتْ
عَلَى غَيْرِهَا: جَاهٌ، وَمَالٌ، وَمَنْصِـبُ

***

فَمَالَكَ فَتَّانٌ وَإِبْلِيسُ عَـابِثُ
وَنَفْسُكَ تَهْوَى وَالـهَوَى بِكَ يَلْعَبُ (64)،

فهذه الأبيات تجعل من إبليس المحور الأساس ، وراء كل ما يمارسه الإنسان من أفعال الشر ، سواء المتعلقة بكيفية حصوله على المال ، أو الجاه أو المنصب ، فالمال والمنصب والجاه كلها غايات مشروعة ، ولكن يبقى السؤال في كيفية تحقيقها ، فهل يدركها الإنسان بالطرق المشروعة ، التي تنسجم مع ما أقره الدين ، ووافق المبادئ والقيم والأخلاق ، أم وفق أساليب ووسائل شيطانية ، بعيدة عما يرضي الخالق عز وجل بل بعيدة حتى عن الفطرة الإنسانية السليمة ، ولهذا يحذر الشاعر من غواية إبليس ، ومن محاولاته المستمرة للعبث بحياة الإنسان ، وتوجيهه إلى الطريق الخطأ ، الذي يخسر باتباعه الدارين الدنيا والآخرة.

الخاتمة :

بهذا الأسلوب الفني عمل الشاعر أحمد الشارف على توظيف التراث الديني ، بكل مصادره المتنوعة، التي تمثلت في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشـخصيات الدينية ، و الحقيقة لم يكن لهذا الأسلوب من التوظيف خصوصية تذكر ، بل كان في معظمه ، أسلوباً نمطياً حاكى فيه الكثير من الشعراء الذين سبقوه في هذا المجال وهذا ما يتضح لنا من خلال مقارنة نصوصه ، بغيرها من النصوص الشعرية ، التي سبقته عبر فترات زمنية مختلفة . وحين نقول إنه أسلوب نمطي نقصد به عدم خروج النص الديني أو الشخصية الدينية ، عن السياق المتعارف عليه الذي من شأنه أن يمنح النص الشعري رؤية جديدة ، وتوظيفا جديدا لهذه العناصر التراثية ، تتناسب ومتطلبات العصر غير أن هذه السمة لم تكن تخص شاعرنا وحده ، بل هي ملمح من ملامح تلك المرحلة التي عاشها الشاعر، والتي كان فيها العودة إلى التراث من قبل الشاعر ، عودة شكلية في معظمها ، أي غاب عنها إضفاء دلالات جديدة أو تفسير معاصر ، والذي لم يتم إلا في مراحل لاحقة. ولكن ورغم ذلك يظل ما قام به الشاعر أحمد الشارف ، من استدعاء لعناصر هذا التراث الديني، تجارب فنية لها قيمتها ولها خصوصيتها في بعض الجوانب و تستحق الدراسة، خاصة وأنه يمثل مرحلة من مراحل الشعر الليبي، وأبرز رموزه وعلى الدارس لهذا الشاعر الوقوف على أهم سماته الشعرية، وأساليبه وأدواته ووسائله الفنية التي استخدمها في التعبير عن آرائه وأفكاره ومواقفه من قضايا عدة ، كان لها صدى في حياته و وقعٌ على نفسه، حاول الإفصاح عنها من خلال اعتماد هذه الوسيلة.

نتائج البحث :

1- يعد التراث الديني أحد مصادر التراث الهامة ، التي يستطيع الشاعر الإفادة منها إذا أحسن الاختيار والتوظيف.

2- شكل الأسلوب الإشارى حضورا أكثر، عند استلهام النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، لما يمنحه هذا الأسلوب من حرية للشاعر، وقدرة على الاختيار والتقديم والتأخير عند توظيفه لهذه النصوص

3- كان استلهام القصة القرآنية عند الشاعر يقوم على شيئين أساسيين، وهما استلهام الشخصية واستلهام الحدث، وهذا ما ساعد على إغناء التجربة الشعرية، وجعلها أكثر عمقا في نقل مشاعر الشاعر وأحاسيسه تجاه موضوعه.

4- تنوعت الشخصيات الدينية التي كانت محل استدعاءات الشاعر، وهذا بدوره انعكس على تنويع التجارب لديه، وتنويع القضايا التي يناقشها.

(64) أحمد الشارف، دراسة وديوان، مرجع سابق، ص 264 .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

1. عبدالله مليطان(2005م) معجم الشعراء الليبيين، ج1، دار الطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس ليبيا.
2. محمد التركي(2008م) أسلوب التصوير في النثر والشعر، الجامعة المغاربية، طرابلس، ليبيا.
3. علي مصطفى المصراتي (2000م) أحمد الشارف، دراسة وديوان ، ط 2، الدار الجماهيرية للنشر، مصراته، ليبيا .
4. الزوزني(1998م) شرح المعلقات، محمد الفاضلي، المكتبة المصرية ، بيروت.
5. جمعة حسين يوسف(2012م) المضامين التراثية في الشعر الأندلسي، دار صفاء للنشر، عمان.
6. مدحت الجبار(1982م) التراث والحداثة، دراسات ومناقشات المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
7. التفتزاني(1331هـ) حاشية الأنباني على الشرح المختصر، مطبعة السعادة ، مصر.
8. ابن رشيق (د ت) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، دار الجيل، بيروت.
9. عبدالهادي الفكيكي(1996م) الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي ، منشورات دار النمير، دمشق .
10. علي المصراتي(2000م) أحمد الشارف دراسة وديوان، الدار الجماهيرية للنشر، مصراتة ليبيا.
11. ديوان الحكيم أبي الصلت، جمع وتحقيق: محمد المرزوقي، دار أبوسلامة للطباعة والنشر، تونس.
12. أحمد بن حنبل(د ت) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج1 ، مؤسسة قرطبة ، مصر، ص 391 .
13. أبو داود، سليمان بن الأشعث(د ت) سنن أبي داود ، محمد محي الدين عبدالحميد، ج 2، دار الفكر.
14. ديوان ابن جبير الأندلسي(1999م) جمع وتحقيق: منجد مصطفى بهجت، دار الرفاعي، الرياض.
15. مسلم، صحيح مسلم ،(د.ت) محمد فؤاد عبدالباقي ، ج 3 ، دار إحياء التراث ، بيروت.
16. محمد عجاج الخطيب(1992م) أصول الحديث ومصطلحاته، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.
17. صبحي الصالح(2000م) علوم الحديث ومصطلحاته، دار العلم للملايين، بيروت .
18. ديوان الرصافي البلنسي(1983م) تحقيق: إحسان عباس ، دار الشروق ، بيروت .
19. ابن سهل(1967م) ديوان ابن سهل الأندلسي ، قدم له: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .
20. الدراجي(1986م) محمد عباس، الإشعاع القرآني في الشعر العربي، عالم الكتاب ، مكتبة النهضة، بيروت.
21. محمد علي كندي(2003م) الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، دار التاب الجديدة المتحدة، بيروت .
22. علي عشري زايد(1978م) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، الشركة العامة للنشر ، طرابلس ليبيا.
23. صلاح عيد (2008م) المدائح النبوية في الشعر العربي من عصر النبوة إلى البوصيري ، مكتبة الآداب ، القاهرة.
24. ديوان ابن الصباغ(2003م) تقديم وتحقيق: نور الهدى الكناني ، المجمع الثقافي أبو ظبي ، الإمارات المتحدة .
25. ديوان ابن حمديس(1960م) صححه وقدم له: إحسان عباس ، دار صادر، بيروت.
26. الزركلي، خير الدين(1995م) الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت.
27. محمد غنيمي هلال (1962م) الأدب المقارن ، مكتبة الأنجلو ، مصر.